طبعاً، أنه بلحاظ نزول القرآن لأجيال وأعراق واستعدادات مختلفة إلى يوم القيامة، فإن جميع مطالبه ونكاته لا يمكن أن تكون قابلة لفهم جميع عرب عصر النزول. وبشكل قهري فقد أخذ القرآن بنظر الاعتبار استعداد وقابلية جميع مخاطبيه على الفهم. ولكن لا يمكننا القول بأن الأكثرية التي كانت مورد مخاطبة القرآن، حين النزول، لم تفهم شيئاً من مطالبه ونكاته. فبلاغة القرآن إذن، كما قلنا، حاكية عن بلاغة العرب وتبحرهم في فنون اللغة ودقائقها. ونحن وإن وافقنا المفكر المصري الدكتور طه حسين وآخرين على تشكيكهم بصحة انتساب الشعر الجاهلي إلى شعراء الجاهلية، ولكن لا يمكننا إنكار الفن الشعري والعلم باللغة والتمكن منها للعرب في تلك الأدوار، بل علينا أن نعترف ان هذا الفن قد تكامل بين العرب لحد أمكنهم من درك سر إعجاز القرآن، وهو الشيء الذي نتيجة الاختلاط وتلاقح اللغات واللهجات، قد تعسّر إدراكه ووصفه حتى للمفكرين، وأدى إلى اختلافهم في بيانه. والواقع أن اللغة العربية تتميز بكثرة المرادفات، وسعة الاشتقاقات، وكثرة أدوات الربط، ومتانة سبكها وقواعدها. وقد حافظ سكان مركز الجزيرة خصوصاً، بقلة مخالطتهم وامتزاجهم بالأمم المجاورة، على فصاحتهم وخصائص لغتهم بشكل كامل، وكلما اقتربنا، بأي نسبة، من قلب الصحراء إلى الحدود، فإن لغة القوم يزداد امتزاجها بلغات أجنبية، وكلمات فارسية ورومية وحبشية ونظائر ذلك، وتبعاً لذلك فانها تفقد أصالتها. أديان ومذاهب العرب: على الرغم من أن أدياناً مختلفة: كالمسيحية واليهودية والزرادشتية والصابئية،